نضارة الحاضرة
في
آداب المحاضرة

تأليف قدوة العلماء العاملين وقطب دائرة العارفين المولى الهمام وبدر سماء السيادة ليلة التمام
صاحب السماحة والفضل الباذخ والرجاحة السيد محمد ابي الهدى افندي الصيادي الرفاعي
قدس الله سره ورضي الله عنه

بتوجّهات مدير الدائرتين ، وهمّة القائم في الرحبين
ونائب الأقطاب الوُرّاث ، أبناء الإمام أبي العلمين
القائم بنشر العلم والحال المحمدي ، ورافع لواء الطريق الرفاعي الأحمدي
سيدي صاحب الفضيلة الشيخ محمود عبد الرحمن الشقفة حفظه الله وأيّد به الاسلام والمسلمين

عني بكتابتها وتحقيقها وترتيب جمعها ، واكرم بتصحيحها والإشراف على سير طبعها
طفيلي مائدة الآل ، والمستشرف بأعتابهم عند نُوّابهم لخدمة النعال
أفقر الورى ، وأحقر من ترى

عبد الحكيم بن سليم عبد الباسط

السقباني الدمشقي غفر الله له ولوالديه ولأشياخه والمسلمين

الطبعة الثانية سنة ١٣٨٩ هجرية

على نفقة جامعها وأخيه في الله المحسن الفاضل الحاج محيي الدين غنام أحسن الله للجميع الختام

توزع مجاناً

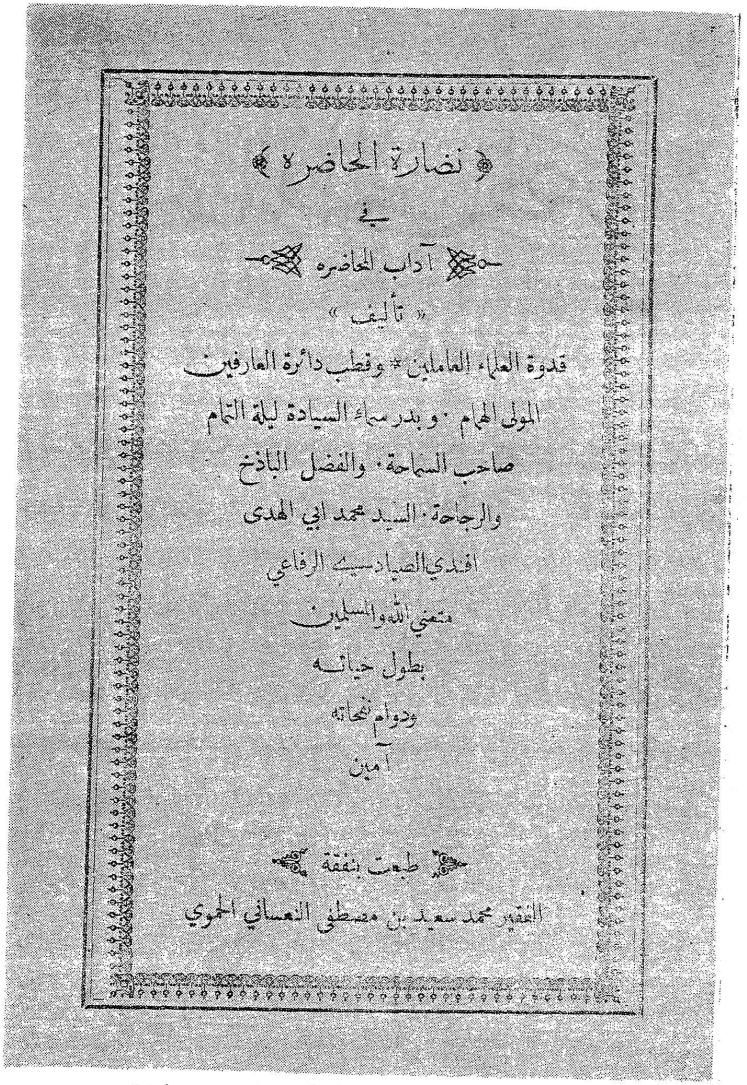

هذه صورة طبق الأصل عن عنوان الطبعة الأولى لشيخي ومُجيزي وحبيبي سماحة المفتي رحمه الله ابقيتها ليتشرّف ويتبرّك بها كل من هو على شاكلتي ومشربي، ليهنأ المحبون الصادقون في « المرء مع من أحبّ » ومما ينسب اليه – رضي الله عنه – قوله :

فرشنا لكم يا آل احمد أوجُهاً ... من الذل كي نحظى بكم يا بني الحمد
ومتنا جهاراً عن سواكم وحَبّذا ... ممات به نُطوى بأسجفة اللحد

افقر الورى ، وأحقر من ترى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على حبيبه وسيد خلقه سيدنا محمد رسوله ومصطفاه وعلى آله وصحبه ومن والاه (اما بعد) فيقول العبد الفقير الى رحمة الوهاب القدير محمد ابو الهدى الصيادي الرفاعي ، كان الله له عوناً وناصراً في جميع الدواعي ، وغفر له ولوالديه واحسن بدار الجزاء جزاءهم بين يديه والمسلمين أجمعين إنه البر المعين . قد سألني بعض أولادي في طريق الله وفقني الله وإياهم لما يحبه ويرضاه أن أكتب رسالة في آداب المحاضرة فأجبته لذلك أُريد بذلك النفع لي ولإخواني ولمن يُوفِّقه الله من اهل العناية، والله ولي الهداية ، وقد كتبت في هذا المطلب هذه الرسالة الجميلة والعُجالة الجزلة المحتوية على الفوائد الجزيلة وسميتها (نضارة الحاضرة في آداب المحاضرة) ليعلم ان المحاضرة غير المناظرة إذ المناظرة غرض المستدل فيها الإلزام بإثبات مُدَّعاه بدليله وذلك بصحة مقدماته ليصلح ذلك الإلزام للشهادة وبسلامته عن المعارض لتنفذ شهادته ، وغرض المعترض الإلزام بمنع المستدلّ عن إثباته وذلك

بالقدح في صحة مايستدل المدعي ليهدم شهادته وبالمعارضة بما يقاومه ليهدم نفوذ شهادته، وهذا الشأن على هذا المنوال لايكون إلاّ لمن كان خصماً أو أنزل في بحث منزلة الخصم . وأما المحاضرة فهي استحضار فكاهات علمية شرعية أو حكمية أو أدبية تنقد معانيها الخواطر ، فتنتقي منها ما يطيب ويحسن استلذاذاً بصحبة الأحباب ، وإحياءً لمراسم العلم الذي هو الى رحاب الفضائل أقرب الأبواب، وللمحاضرة آداب قررها الأئمة أولو الألباب . قال شيخنا القطب الأعظم السيد محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي الشهير بالرواس رضي الله عنه وعنا به :

حاضر بُنيَّ بحُسن الخُلق احبابك ولا تضيِّع بحب النفس آدابك
وإن أعابك من والاك أو هابك عن عثرة فاعف واصفح أسوة السادات
واجعل خلائق خير الخَلق محرابك

واذا كانت المحاضرة كما ذكرنا عبارة عن استحضار طُرف وشرائف تحف ، من رقائق العلم الشرعي ،ودقائق الفن النظري والأدبي ، تدور أقداح لطفها بين الأحباب ، ويتداولها افكار الإخوان الأنجاب ، فعلى هذا آدابها كما قرره شيخنا القطب الأعظم الرواس ، عليه رضوان رب الناس ، تنتهي الى عشرين يقف عندها ارباب العرفان الرصين ، والقدم المكين .

(الادب الأول) حُسن الخُلُق في الأخـذ والرد ، والخطاب والجواب .

(الثاني) عـدم رؤية التفوّق في العلم والعقل والقدر والمنزلة على احد من إخوانه الذين يشتمل عليهم المجلس وإن كان المرء فوقهم في تلك الخِلال كلها فإن العاقل الكامل لا يجد في نفسه لنفسه على غيره مزيّة .

(الثالث) مقابلة كل متكلم من الاخوان اخطأ أو أصاب بالبِشر والرِّفق ففي الحديث « ان الله يحب الرفق في الامر كله » والبِشر طور أهل الهمم الكريمة ، والاخلاق الحميدة ، وهو من أدلّ الدلائل على ضخامة العقل .

(الرابع) عدم إظهار التلون كالحرباء من طور الى طور ، ومن حال الى حال ، فان ذلك من علامات نقصان العقل وحِطة الهمة .

(الخامس) الصبر في اثناء البحث والتروّي والتأنّي في الكلام سماعاً وإجابة .

(السادس) إفراغ الجُمل المنقولة والمعقولة التي تُقعد ذهن الجامح ، وتُصلح وَهمَ الغالط ، وتزيد اخا الفهم إذعانا وبصيرة وعرفانا .

(السابع) الانقياد للحق اذا ظهر من دون تأويل ولا لجلجة .

(الثامن) عدم دعوى الإحاطة فإنها من أبهر الدلائل على قلّة البضاعتين العقلية والعلمية .

(التاسع) احترام الجلّاس من الإخوان في القلب ولطف المعاملة لهم باللسان لتنبجس من صفوة القلب آثار الإشراقات بالتقابل الروحي ومن لُطف اللسان مسرة الخاطر ، وفي هاتين العبارتين من حُسن الأُخوّة وصحة نظم شأنها ما فيه بلاغ .

(العاشر) حفظ اللسان من الأغلاط التي تنشأ عن العجلة في الكلام ليكون البحث مصوناً من العبث ، منتسقاً بالنقليات والعقليات ، مستجمعاً للفوائد .

(الحادي عشر) حفظ اللسان حالة الأخذ والرد من زفرات الدعوى والشطط والتجاوز في الخطاب او الجواب ولو بالإشارة فإن ذلك من ضيق الرأي وقلّة التبصّر .

(الثاني عشر) التنصل عن الجزم بحصول الظهور والغلبة في البحث والجزم باستحصال الحكمة النقية من البحث على أي لسان ظهرت ، ومن كبير أو صغير برزت .

(الثالث عشر) التكلم بحقيقة الحال في المبحث لكيلا يدخل الغلط

على الاذهان بالتورّب والغرض المندمجين في الكلام فذلك في باطن حكمه الغش للإخوان ولو على غير قصد .

(الرابع عشر) العفو والصفح عن عثرات الاخوان حالة البحث والعثرة والسقوط في كلمة أو نظرة ، عجلة عن غير قصد ، وإذا كانت مقصودة فهي خطأ ، وفي تعريف الشرع إساءة وفي الحديث « هل عفوت عمن ظلمك ؟ هل أحسنت إلى من أساء إليك ؟ » وتبعاً لهذا النص الكريم فيجب مقابلة الاساءة بالاحسان ، والخطيئة بالغفران ، والغلظة بالرفق والحنان ، ومن الأدب في ذلك أن يصرف المحسن النظر عن رؤية إحسانه ورفقه وحنانه فإنه إن لم يفعل ذلك صار منّاناً وقُلِبَ الرفق والحنان ظلماً وعدواناً .

(الخامس عشر) عدم المعارضة وهي أبداً ما يقتضي نقيض ما أثبته المستدل بدليل وجوابها المنع وقد اشتهر بين الجدليين أنها تعارض وقد يجاب التعارض بالترجيح وأحسن من المعارضة بين الاخوان في المحاضرة الاستفسار وهو طلب بيان معنى اللفظ إذا كان في اللفظ غرابة أو إجمال .

(السادس عشر) عدم الإصرار على نقض كلام المتكلم فان النقض حاصله جريان الدليل في مادة مع تخلّف الحكم وقد قيل ليس للمعترض

إقامة الدليل إلاّ إذا كان له اعتراض أولى من النقض هذا بين المتناظرين لا المتحاضرين فان الأدب المنصوص عند أهل الشأن في المحاضرة يقضي بعدم الإصرار على نقض كلام المتكلم إلاّ إذا مسّت الحاجة مساً موجباً فهنالك يقيم الأخ الدليل لأخيه بحُسن التعبير ولُطف التقرير لإيضاح الحق علماً وحكماً لا لنقض قوله غروراً وجزماً، فليتدبر .

(السابع عشر) ملاحظة معاني الكلام الذي يمر في مجلس المحاضرة قبل إصداره ليكون نقياً موافقاً لشرف المجلس ولمراتب الجلّاس وحالهم وما هم عليه من المجد والعلم والأخلاق والأطوار عملاً بقول الله تعالى (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) وبقوله ﷺ « أنزلوا الناس منازلهم » .

(الثامن عشر) صيانة المجلس من أن يعاد ما تضمنه في مجلس آخر سوى ما كان من كلمة شريفة وخَلّة جميلة . ففي الحديث « المجالس بالامانة » وفي رواية بالأمانات وجاء مرفوعاً وموقوفاً « الأمانة بالمجالس » « والأمانات بالمجالس » . ومن خان الأمانة فقد تلبّس بالخيانة وانفك عن الصيانة ، وفي الكلام العزيز (ولا تكن للخائنين خصيما) أي ظهيراً ومعيناً . وفي كلام الأنزع الكرار سيدنا الإمام عليّ كرم الله

وجهه ورضي الله عنه : المؤمن أمين. وفي حِكَم الإمام الرفاعي رضي الله عنه : من قلّت أمانته ذهبت صيانته ، والخائن من اغتنم غيبة الصديق فاغتابه وترقّب الفرصة فيه فأعابه. وقال رضي الله عنه : أبى الله إلاّ أن يُطهِّر دوائر أهل الحق من الخائنين ، وأبى أن يدخل حظيرة عنايته خائناً .

(التاسع عشر) حُسن العشرة في مجلس المحاضرة فإنها ترجمان القلب ونظام العقل فمن ساءت عشرته ساء قلبه وقبح نظام عقله . وقد سُئل الإمام الرفاعي رضي الله عنه عن حُسن العشرة فقال : هي معاملة الخلان بالفُتُوّة وهي الصفح عن العثرات مع لين القول وطيب المسامرة وتحمّل الهفوة ، فإن من طلب صديقاً بلا حيف بقي زمانه بلا صديق وأنشد رضي الله عنه :

خذ من الناس ماتيسّر ودع من الناس ما تعسّر
إنما الناس كالزجاج إذا لم تداره تكسّر

(العشرون) التخلّق بكل ما ذكر اتّباعاً للشارع الكريم ﷺ وتحقيقاً بالإخلاص في كل ذلك لله تعالى فإن الحُب في الله ينتج الرضا من الله ، وإذا كان به كذلك فقد أراد فاعل ذلك الخير لإخوانه ليتخلّق

كل منهم بالخُلق الحَسن ، ولتحفّه من الله لطائف المنن . وقـــد قال المصطفى ﷺ « لا يكون أحدكم مؤمناً حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » وكذلك فإن المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، وولايتهم لبعضهم تقضي عليهم جميعاً بأن يتعاونوا على البِرّ والتقوى ولا يتعاونوا على الإثم والعدوان ، والبِرّ هو إسداء المعروف قولا وفعلا ، ومن تأكّدت له الأُخوة بعهد في الله مع الأُخوّة الإيمانية أيضاً فقد تأكّد عليه وجوباً البِرُّ بأخيـــه ، والرِّفق به والعفو عن زلاّته ، والستر لخطيئاته ، والإغضاء عن هفواته ورضي الله عن الإمـام أبي العلمين فانه قال :

اصحب من الاخوان من قلبه ... أصفى من الياقوت والجوهر
ومن إذا سِرّك أودعتـه ... لم يظهر السر إلى المحشر
ومن إذا أذنبت ذنباً أتى ... معتذراً عنك كمستغفر
ومن إذا ما غبت عن عينه ... أقلقه الشوق فـلم يصبر

وأين أولئك الإخوان كاد أن يفقدهم الزمان، قلّ عدادهم ، وندر افرادهم ، وذهب كثيرهم ، وانقرض عشيرهم ، ولم يبق منهم إلاّ خبايا

في الزوايا ، فمزاياهم الجليلة أُمّهات الأخلاق ، وأطوارهم العليـة حياة أُولي الأذواق، ولولا أن القصد من هذه الرسالة الوجازة التامة لذكرنا من مناقبهم العجائب ، ومن عجائب أحوالهم غُرر المناقب ، ولقـد اكتفينا بهذا المقدار من أخبار آدابهم مع أحبابهم ، والحمـد لله رب العالمين ، وهو نعم المعين .